مقتطفات من كتاب
أوراق محارب الضوء
باولو كويلو

حدوتة كتاب

إليك...لأنك تعرف لماذا!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

سمع المحارب أناساً يسألون: «وكيف أعرف أن الطريق الذي أسير عليه هو الطريق الصحيح؟» لكنه شاهد أشخاصاً عديدين يتخلون عن قضيتهم لأنهم لم يستطيعوا الإجابة عن ذلك السؤال.

لا يمتلك المحارب أيّ شكوك، لأنه يطبّق حكمةً مأثورةً عن السيد المسيح: «تعرفونهم من ثمارهم».

هذه هي القاعدة التي يتبعها، لذلك لا يخطئ أبداً.

يقول مارك هالتر: «قد يكون هتلر خسر الحرب في ميادين المعارك، لكنه حقّق أموراً محددةً في النهاية، لأن إنسان القرن العشرين أنشأ معسكرات الاعتقال الجماعي، وعاد إلى ممارسة التعذيب، وعلّم مواطنيه أن بإمكانهم إغماض أعينهم أمام مآسي الآخرين».

يُحتمل أن يكون هالتر على حق بسبب وجود أطفال متروكين، ومدنيين يتعرضون للقتل، وأشخاص أبرياء في السجن، وأشخاص مسنّين وحيدين، وسكّيرين في الحضيض، وأشخاص مجانين في السلطة.

لكن لعله، في النهاية، ليس على حق أبداً، لأنه يوجد محاربو ضوء أيضاً.

لا يقبل محاربو الضوء أبداً بما هو غير مقبول.

يقول أحد الأمثال التقليدية القديمة: «يكمن الشيطان في التفاصيل».

طرح الخليفة معاوية سؤالاً على عمرو بن العاص حول سر المهارات السياسية العظيمة التي يتمتع بها

جاء الرد على النحو التالي: «إنني لا أورّط نفسي أبداً في أمرٍ ما قبل أن أضع خطط الإنسحاب منه، كما أنني لا أضع نفسي أبداً في موقفٍ ما، ثمّ أرغب في الانسحاب منه على الفور».

لا يقع محارب الضوء في مصيدة تلك الكلمة «حرية».

تأخذ الحرية مفهوماً شديد الوضوح عندما يتعرض شعب المحارب إلى الإضطهاد. يحارب المحارب، في أوقات كهذه، وما بقيت فيه أنفاس الحياة، مستخدماً السيف والدرع. يسهل علينا فهم الحرية إذا ما قورنت مع الإضطهاد: إنها نقيض العبودية.

لكن المحارب يسمع أحياناً أشخاصاً مسنّين وهم يقولون: «عندما أتوقف عن العمل سأكون حراً». لكنه يسمع الأشخاص أنفسهم يتذمرون بعد مرور عام من الزمن ويقولون: «ليست الحياة إلا روتيناً مملاً». يصعب علينا فهم الحرية في هذه الحالة: إنها تعني افتقاد المعنى.

يحافظ محارب الضوء على التزامه على الدوام. إنه عبدٌ لحلمه، لكنه حرّ التصرّف.

يتجاهل المحارب، على أية حال، هؤلاء البائعين. إنه يتوجه، بهدوء، إلى مكانه المقدس، ويرتدي عباءة الإيمان الراسخة.

يصدّ الإيمان كل الضربات، لأنه يحوّل السم إلى ماءٍ صافٍ كالبلور.

عندما يريد شخص ما الحصول على أمرٍ ما، فإن الكون بكامله يتآمر لصالحه. يعرف محارب الضوء هذه الحقيقة.

وهذا هو السبب الذي يدفع المحارب لأن يعتني بأفكاره كثيراً. تكمن مشاعر لا يجرؤ أحد على الإعتراف بها لنفسه وراء مجموعةٍ كاملة من النوايا الحسنة: الإنتقام، تدمير الذات، الذنب، الخوف من الفوز، وحبورٌ بشع عند سماع كوارث الآخرين.

إن الكون لا يحكم علينا، لكنه يتآمر لصالح ما نريده. يفسّر هذا السبب الذي يمنح المحارب الجرأة التي يحتاجها للتأمل في الأماكن المظلمة في روحه، من أجل التأكد من عدم طلبه أموراً خاطئة.

يحرص المحارب، دوماً، على أفكاره.

توجد أشياء تسمى النفايات العاطفية: تنتج هذه النفايات عن معامل في الدماغ. إنها تتألف من الألم الذي مضى منذ زمن ولم يعد نافعاً. تشتمل هذه النفايات على التحذيرات التي كانت مهمة في الماضي، لكنها لم تعد تفيد في شيء في الوقت الحاضر.

يقول يسوع المسيح: «لتكن كلمة نعم التي تقولها «نعم» حقاً، ولتكن كلمة لا، «لا» حقاً». يحافظ المحارب على كلمته عندما يأخذ التزاماً ما على عاتقه.

أما أولئك الذين يقطعون وعوداً ولا ينفذونها، فإنهم يخسرون احترامهم لذواتهم، ويشعرون بالخجل من أعمالهم. يمضي هؤلاء الأشخاص حياتهم في حالة من الهروب الدائم، وهم يستهلكون، في محاولة الإتيان بسلسلةٍ من الأعذار كي يمحوا ما قالوه، طاقة أكبر مما يحتاجه محارب الضوء في الوفاء بالتزاماته

يحدث أحياناً أن يلتزم محارب الضوء بالتزام أحمق يُحتمل أن يُلحق به الأذى. لكنه لا يكرّر غلطته. ويحترم كلمته مع ذلك، ويدفع ثمن تهوره.

تعلّم محارب الضوء أن الله يستخدم الوحدة كي يعلّمنا كيفية العيش مع الآخرين.

ويستخدم الغضب كي يُظهر لنا القيمة المطلقة للسلام ويستخدم السأم كي يشدّد على أهمية المغامرة والعفوية.

يستخدم الله الصمت كي يعلّمنا استخدام الكلمات بمسؤولية. إنه يستخدم التعب كي يجعلنا نفهم قيمة الإستيقاظ، كما يستخدم المرض كي يعرّفنا على نعمة الصحة السليمة.

يستخدم الله النار كي يعلّمنا طبيعة الماء. إنه يستخدم التراب كي نتمكن من فهم طبيعة الهواء. ويستخدم الله الموت كي يُظهر لنا أهمية الحياة.

لا يقلق محارب الضوء من أن تبدو تصرفاته خرقاء بالنسبة للآخرين.

إنه يتحدث مع نفسه، وبصوتٍ عالٍ، عندما يكون وحيداً. يفعل ذلك لأن شخصاً ما أبلغه أن هذه هي أفضل طريقة للتحدث مع الملائكة، لذلك تراه يغامر في محاولته إقامة إتصال معها.

لا يتفوق المريد على معلمه، لكن كل إنسانٍ مثالي سيكون على مثال معلّمه.

[لوقا ٦ - ٤٠]

«ومن يكون محارب الضوء هذا؟»

ابتسمت وأجابت: «أنت تعرفه جيداً. إنه ذلك الشخص الذي يقدر على فهم معجزة الحياة، وفهم كيفية النضال من أجل أمرٍ ما يؤمن به حتى النهاية، ويقدر على سماع الأجراس التي تقرعها الأمواج تحت قاع البحر».

لم يعتبر نفسه أبداً محارب الضوء. بدا أن المرأة تمكّنت من قراءة أفكاره، فقالت له: «يقدر كل شخص على هذه الأمور، وبالرغم من أن أحداً لا يعتبر نفسه محارب الضوء، لكننا جميعاً محاربو ضوء».

حدّق الفتى في صفحات دفتر المذكرات الخالية. ابتسمت المرأة مجدداً.

قالت له: «اكتب عن ذلك المحارب».

يسأل المحارب نفسه قبل أن يشرع في خوض معركةٍ مهمة: «إلى أي مدى تمكّنتُ من تطوير قدراتي؟»

يدرك المحارب أنه تعلّم أمراً ما في كل معركةٍ خاضها، لكن دروساً كثيرة من تلك التي تعلمها سببت له معاناة غير ضرورية. وكم من المرات أضاع وقته في الكفاح من أجل كذبة، وكم من المرات تعذّب من أجل الأشخاص الذين لا يستحقون حبّه؟

لا يقترف المنتصرون الخطأ ذاته مرتين، وهذا هو السبب الذي يدفع بالمحارب إلى عدم المخاطرة بنفسه، إلا من أجل قضيةٍ تستحق التضحية.

يعرف المحارب أنه لا وجود للأغبياء، وأن الحياة تعلّم الجميع، مهما طالت المدة.

إنه يقدّم أفضل ما عنده على الدوام. وكذلك يتوقع من الآخرين أن يقدموا أفضل ما عندهم. يحاول المحارب، عبر كَرَمه، أن يُظهر للجميع بأنهم قادرون على إنجاز أي شيء.

يقول بعض رفاقه: «إن بعض الناس جاحدون».

لا يشعر المحارب بالإحباط بسبب هذه الأقوال، ويستمر في تشجيع الآخرين، لأنه بذلك يشجع نفسه بطريقةٍ أخرى.

يعرف محارب الضوء أنه يستحيل أن يُمضي المرء حياته في حالةٍ من الإسترخاء التام.

سبق للمحارب أن تعلّم من رامي النبال، أنه إذا أراد أن يصل بسهمه بعيداً، فسيتوجب أن يكون قوسه مشدوداً جداً. وتعلّم من النجوم بأن انفجارها الداخلي فقط هو الذي يجعلها تلتمع. يلاحظ المحارب، أيضاً، أنه حينما يكون الحصان على وشك القفز فإن عضلاته تتوتر.

لكن المحارب لا يخلط أبداً بين التوتر والقلق.

يشعر محاربو الضوء بالخوف قبل خوض المعركة.
أقدمَ كل محارب ضوء على الكذب، أو على خيانة شخصٍ ما، في فترةٍ ما من ماضيه.

وكل محارب ضوء سلك، في الماضي، طريقاً غير طريقه.

وكل محارب ضوء جرّب العذاب لأتفه الأسباب.

وكل محارب ضوء اعتقد، مرةً على الأقل، أنه ليس محارب ضوء.

وكل محارب ضوء ذاق طعم الفشل في واجباته الروحية.

وكل محارب ضوء قال «نعم»، في حين أراد أن يقول «لا».

وكل محارب ضوء تسبب في أذية شخصٍ يحبه.

وهذه الأسباب، مجتمعةً، هي التي تجعل منه محارب ضوء، لأنه مرّ بكل هذه التجارب، لكنه لم يفقد، أبداً، الأمل في أن يكون أفضل مما هو عليه.

يُصغي المحارب، دائما، إلى كلمات مفكرين معيّنين، مثل تلك التي قالها تي. آيتش. هكسلي:

«إن عواقب أفعالنا هي فزّاعات بالنسبة إلى الحمقى، لكنها منارات بالنسبة إلى الحكماء».

«رقعة الشطرنج هي العالم، وقطع رقعتها ما هي إلا إشارات حياتنا اليومية. أما قواعد هذه اللعبة فهي ما نطلق عليه اسم قوانين الطبيعة. يختبئ عنا اللاعب في الجهة المقابلة، لكننا نعلم أنه يلعب على الدوام، بطريقة منصفة، وعادلة، وصبورة.

يتوجب على المحارب، بكل بساطة، أن يقبل التحدي. إنه يعرف أن الله لا يتغاضى أبداً عن أي خطأ يرتكبه الذين يحبهم، كما أنه لا يسمح للأثيرين عنده بالتظاهر بأنهم يجهلون قواعد اللعبة.

لا يقف محارب الضوء على الحياد، أبداً، تجاه الظلم.

إنه يعرف أن الكل واحد، وأن تصرّف كل فردٍ يؤثر على كل شخصٍ آخر في هذا الكوكب. وهذا هو السبب الذي يدفعه إلى استخدام سيفه من أجل استعادة النظام عندما يلاحظ معاناة الآخرين.

يتقاسم محارب الضوء عالمه مع الأشخاص الذين يحبهم.

إنه يحاول أن يشجعهم على القيام بالأمور التي يودون القيام بها، لكنهم يفتقدون إلى الجرأة اللازمة لهم. يظهر العدو في تلك الأوقات حاملاً لوحتين خشبيتين في يده.